﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾ [الأعراف: 152]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المُناسبةُ بين استِغفار موسَى لهِ ولأخيهِ، وغضَبِ الله على عَبَدةِ العِجْلِ

ولَمّا صحَّت براءةُ خليفةِ مُوسى، وأُشِيرَ إلى أنّهُ مع ذلكَ فقيرٌ إلى المَغفرَةِ؛ التَفَتَتِ النَّفسُ إلى حالِ المُفسِدِينَ، فقالَ مُخبِرًا عن ذَلِكَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾[1]. وهذا القولُ إلى قَولِهِ: ﴿ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ من تَمَامِ كَلامِ مُوسَى، فَبَعدَ أَن دَعَا لِأَخِيهِ بِالمَغفِرَةِ أَخبَرَ أَنَّ اللّهَ غَضِبَ على الَّذِينَ عَبَدُوا العِجلَ، وأَنَّهُ سَيُظهِرُ أثرَ غَضَبِهِ عليهِم، وسَتَنالُهُم ذِلَّةٌ في الدُّنيا، وذَلِكَ بوَحيٍ تَلَقَّاهُ[2]، وفي ذلك إجابةٌ عن أسئلةٍ قد تُطرَحُ مفادُهَا: إلى ماذا يصيرُ أمرُ القومِ وتوبتُهُم واستغفارُ نبيِّ اللّهِ تعالى؟ وهل قَبِلَ اللّهُ تعالى توبتَهُم[3]؟

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَيَنَالُهُمۡ﴾: النُّونُ والوَاوُ واللَّامُ أَصلٌ صَحِيحٌ يدُلُّ على إعطَاءٍ. ونَوَّلتُهُ: أَعطَيتُهُ. والنَّوَالُ: العَطَاءُ[4]. ومِن هذا الأصلِ جاءَ النَّيْلُ بمعنى الإصابةِ، فالنَّيْلُ: ما يَنالُهُ الإنسانُ بيدِهِ[5]. ونالَ الشّيءَ؛ إذا أصابَهُ[6]؛ أي: حازَهُ وأخذَ منهُ. وسائرُ ما في القرآنِ مِن التّركيبِ فهو بمعنى حوز شيءٍ؛ أي: إصابتُهُ، وتحصيلُهُ خيرًا أو شرًّا[7]. ومعنى اللّفظةِ في الآيةِ الكريمةِ الإصابةُ في الشّرِّ.

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/116.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/118 - 119.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/69.
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (نول).
(5) الرّاغب، المفردات: (نيل).
(6) ابن الأثير، النّهاية: (نيل).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نول - نيل).

2) ﴿وَذِلَّةٌ﴾: الذَّالُ وَاللَّامُ في التَّضعيفِ والمُطَابَقَةِ أَصلٌ وَاحِدٌ يدُلُّ عَلَى الخُضُوعِ، والاستِكَانَةِ، وَاللِّينِ. فالذُّلُّ: ضِدُّ العِزِّ[1]. وهو مَصدرُ الذَّلُولِ؛ أي: المُنقادُ مِنَ الدّوابِّ[2]. ومِن أسماءِ اللّهِ تعالى (المُذِلّ)، وهو الّذي يُلحِقُ الذُّلَّ بمَن يشاءُ مِن عبادِهِ، وينفي عنهُ أنواعَ العزِّ جميعها[3]. وقد يأتي الذُّلُّ بضدِّ الصُّعوبةِ: بمعنى الرِّفقِ، والرَّحمَةِ، وخفضِ الجناحِ، ولينِ الجانبِ. فإنْ كانَ عن عجزٍ، ووقوعٍ تحتَ قَهرٍ لا فَكاك منه، فهو ذَهابُ الشُّموخِ، وهو ضَعفٌ، وذُلُّ انخفاضٍ، وعجزٌ عنِ التَّماسُكِ. وضدُّهُ العِزُّ. وسائرُ ما في القرآنِ مِنَ التّركيبِ فهو بهذا المعنى الأخير[4]. فالذِّلَّةُ: خُضُوعٌ في النَّفسِ وَاستِكَانَةٌ مِن جَرَّاءِ العَجزِ عَنِ الدَّفعِ[5].

3) ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾: الحَاءُ واليَاءُ والحَرفُ المُعتَلُّ أَصلَانِ: أَحَدُهُمَا خِلَافُ المَوتِ، وهو الحَياةُ والحَيَوانُ[6]، وكلُّ ما في القرآنِ مِنَ التّركيبِ هو مِنَ الحياةِ ضدّ الموتِ عدا التّحيّة والحَياء[7]. وقد تَقدَّمَ تفسيرُ اللّفظةِ.

4) ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: الدَّالُ والنُّونُ والحَرفُ المُعتَلُّ أَصلٌ وَاحِدٌ يُقَاسُ بَعضُهُ عَلَى بَعضٍ، وهُوَ القُربُ[8]. والدُّنيا فُعْلَى مَنَ الدُّنوِّ، وهي اسمٌ لهذهِ الحَياةِ لبُعدِ الآخرةِ عنها؛ أي: دَنَتْ وتأخَّرَتِ الآخرةُ. والسَّماءُ الدُّنيا؛ لقُربِها مِن ساكني الأرضِ[9]. والدُّنوُّ: القُربُ بالذّاتِ، أو بالحُكمِ، ويُستعمَلُ في المكانِ، والزَّمانِ، والمَنزِلَةِ[10]. وكلمةُ (الدُّنيا) مِن أشيعِ مُفرداتِ القرآنِ، وكلُّ ما فيه مِنَ التّركيبِ هو مِنَ الدُّنوِّ: القُرْبِ، لكن هناك صُوَر خاصَّة له[11].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذلَّ).
(2) الخليل، العين: (ذلَّ).
(3) ابن الأثير، النّهاية: (ذلل).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ذلل).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/119.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حَيَّ).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حيي).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دنى).
(9) الخليل، العين: (دنأ، دنو)، وابن الأثير، النّهاية: (دنا).
(10) الرّاغب، المفردات: (دنا).
(11) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (دنو).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّوعُّدُ بالغضَبِ والذِّلَّةِ في الدّنيا، وهـو جـزاءُ كـلِّ مُفتَرٍ على الله

يُخبِرُ اللّهُ تعالى مُبيِّنًا حالَ أهلِ العِجلِ الّذين عَبدُوهُ: أنَّ الَّذينَ اتَّخَذُوا العِجلَ سَيَنالُهُم غَضَبٌ، وهو ما أمَرَهُم مِن قَتلِ أنفُسِهم، أو الطّاعون الّذي سُلِّطَ عليهم، وَذِلَّةٌ في الحَياةِ الدُّنْيا؛ وهي ضَربُ الجَزيةِ والهَوانِ إلى يومِ القيامةِ، وكَذلِكَ نَجزِي المُفتَرينَ على اللّهِ، ولا فرية أعظمُ مِن فريتِهم، فَقالُوا: هذا إلهُكُم وَإلهُ مُوسى، ولعلَّهُ لم يفترِ أحدٌ مثلها قبلَهُم؛ حيث جَعَلُوا البَقَرَ إلهَهُم وإلهَ رسولِهم، نسألُ اللّه الحفظَ[1].

وتُرشِدُ الآيةُ الكريمةُ: إلى أنّه لا ينبغي لِمَن يُذنب، ثمّ لا يُؤاخَذُ في الحَالِ أن يَغترَّ بالإمهالِ[2]. وما مِن مُبتَدِعٍ إلّا وتجدُ فوقَ رأسِهِ ذلَّةً[3]، ويُؤخَذُ مِن هذهِ الآيةِ الكريمةِ أيضًا أنَّ الكَذَّابَ يُرمَى بالمَذَلَّةِ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ التّوكيدِ في مُفتتَحِ الآيةِ:

تَرسِيخُ حتْميّةِ العذابِ لانْحرافِ الـقـومِ عـنِ الصّوابِ

افتُتِحَتِ الآيةُ الكريمةُ بـ﴿إِنَّ﴾ المُؤكِّدةِ المُرسِّخةِ لدلالةِ حتميّةِ تحقُّقِ ما سينالُهُم مِن عذابٍ، وعزَّزَ ذلك تَكرارُ الفعلِ بصيغةِ الافتعالِ الدّالّةِ - بحسب ما مرَّ آنفًا - على التَّصنُّعِ على خلافِ الحَقِّ، أو طبيعةِ الأمرِ السَّويِّ، والإصرار على الفعلِ مِن خلالِ سعةِ المُشارَكةِ في إنجازِهِ.

دَلالةُ الاسْتِئنافِ البيانيِّ في الآيةِ:

خطابٌ مِنَ اللهِ تعالى، لبيانِ ما استحقَّهُ القومُ مِـنَ الـجـزاءِ الوِفاقِ

في هذهِ الآيةِ وجهان؛ أحدُهُما: أنّها كلامٌ مُستأنَفٌ لبيانِ ما استحقَّهُ القومُ مِنَ الجزاءِ على اتّخاذِ العِجلِ، قَفَّى بهِ على ما كانَ مِن شأنِ مُوسى مع هارونَ ﷺ في أمرِهِم؛ لأنّ مَن سَمِعَ ذاك أو

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 2/263.
(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/573.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/292.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/120.

قَرَأَهُ؛ تستشرفُ نفسُهُ لمعرفةِ هذا، فهو إذًا[1] خِطَابٌ مِنَ اللهِ لِمُوسَى إخبارًا عمَّا يَنالُ عُبّادَ العِجلِ، وجَوَابًا عَن دُعَائِهِ لأَخِيهِ بِالمَغفِرَةِ بِتَقديرِ فِعلِ قَولٍ مَحذُوفٍ؛ أَي: قُلنَا: إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجلَ إِلى آخِرِهِ، مِثلُ مَا حَكَى اللهُ تعالى عَن إِبرَاهِيمَ ﷺ في قَولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ [البقرة: 126][2]. والآخر: هُو مِن تَمَامِ كَلامِ مُوسَى، فَبَعدَ أَن دَعَا لأَخِيهِ بالمَغفِرَةِ أَخبَرَ أَنَّ اللهَ غَضِبَ على الَّذِينَ عَبَدُوا العِجلَ، وأَنَّهُ سَيُظهِرُ أثرَ غضبِهِ عليهم، وسَتَنَالُهُم ذِلَّةٌ في الدُّنيَا، وذَلِكَ بِوَحيٍ تَلَقَّاهُ، وانتَهَى كَلَامُ مُوسَى عِندَ قَولِهِ: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. والأوّلُ أظهرُ، ودليلُهُ قولُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾؛ ليجريَ الكلامُ على نَسَقٍ وَاحدٍ مع الكلامِ قبلَهُ[3].

دَلالةُ الاعتراضِ في الآيةِ:

خطابٌ لرسُولِنا ﷺ؛ لإنذارِ مُجاوِريهِ مِن يهودِ المدينةِ

وهو الوجهُ الثّاني: بأنَّه كلامٌ مُعترِضٌ في القصّةِ، خاطبَ اللهُ به خاتمَ رُسلِهِ؛ لإنذارِ المُجاورِينَ لهُ مِن يهودِ المدينةِ ما سيكونُ مِن سوءِ عاقبتِهِم في افترائِهِم على اللهِ وعداوتِهِم لِرسولِهِ، وإنكارِهِم ما في كتبِهِم مِنَ البشارةِ بِهِ، ووصفِهِم باتّخاذِ العِجلِ لِشبهِهِم بِهِم وكونِهِم خَلفًا لَهُم في افتراءِ كلٍّ منهما على اللهِ في عهدِ ظهورِ حُجّتِهِ على لسانِ رسولِهِ، كما عيَّرَهُم في آياتٍ أُخرى بِقَتلِ النّبيّينَ بغيرِ الحَقِّ وغير ذلك مِن جرائمِ سَلفِهِم، فالمُرادُ سينالُ أولادُ الّذين عَبَدُوا العِجلَ، وهُم الّذين كانوا على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ؛ فإنَّ العَربَ تُعيِّرُ الأبناءَ بقبائحِ أفعالِ الآباءِ كما تَفعَلُ ذلك في المَناقِبِ، يَقولُونَ للأبناءِ: فَعَلتُم كَذا وكَذا، وإنَّمَا فَعَلَ ذلكَ

(1) محمد رضا، تفسير المنار: 9/182.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/395، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/119.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/395، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/118 - 119.

أسلافَهُم، أو سَيَنالُ أولادُ الّذين باشرُوا فِعلَ الاتّخاذِ، ثمّ حَذَفَ المُضافَ لدلالةِ الكلامِ عليه[1].

بَراعةُ التَّعريفِ بالمَوصوليّةِ بلفْظِ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

وتَعريفُهُم بِطَريقِ المَوصُولِيَّةِ بقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ لأَنَّها أَخصَرُ طَريقٍ في استِحضَارِهِم بِصِفَةٍ عُرِفُوا بِها، ولأَنَّهُ يُؤذِنُ بِسَبَبِيَّةِ ما نَالَهُم مِنَ العِقَابِ[2].

أوجُزُ طُرقِ استِحضارِ صِفةِ المتّخذين العجلَ الذّهبيَّ

سِرُّ حذْفِ المفعولِ الثّاني مِنَ الفعْلِ (اتّخذَ):

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ المعنى: اتَّخذُوا العِجلَ إِلهًا[3]، حُذِفَ المفعولُ الثّاني لِعلمِ السّامعِ[4]؛ لأَنّ الاتِّخاذَ دليلٌ عليه[5]، أو حُذِفَ اختِصارًا[6].

الإيجازُ بالحذْفِ؛ لعلْمِ السّامعِ به من فصيحِ البيانِ

عِلّةُ التَّعْبيرِ بسِينِ الاسْتقبالِ ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾:

السّينُ في ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ حرفُ تسويفٍ يفيدُ توكيدَ حدوثِ الفعلِ في المُستقبَلِ، و﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ في مُستقبَلِ أحوالِهِم جزاءُ أعمالِهِم، ومَن لا يضرُّهُ عصيانُ العاصينَ؛ لا يبالي بتأخيرِ العقوبةِ عنِ الحالِ، وفرقٌ بينَ الإمهالِ والإهمالِ، والحَقُّ سُبحانَهُ يُمهِلُ، ولكنّهُ لا يُهمِلُ[7].

توكيدُ حُدوثِ الفعلِ في المُستقبَلِ على سبيلِ الوعيدِ

دَلالةُ السّينِ لِتغليبِ المُجاوِرينَ للنّبيِّ ﷺ مِن يهودِ المدينةِ:

ودلالةُ السّينِ في قوله تعالى: ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ لِتغليبِ مُعاصِري النُّبوَّةِ ومَن بعدَهُم على أجدادِهِم المَاضين كما مرَّ ذكرُهُ[8]، أو المرادُ:

توعّدُ اليهودِ بسُوءِ المصيرِ، مُستمرٌّ بتجدُّدِ ظُلمِهِم وافْترائِهم

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/12، وابن عادل، اللّباب: 9/328، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/183.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/119.

(3) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/379.

(4) النّحّاس، معاني القرآن: 3/84.

(5) ابن سيده، المحكم: (تخذ).

(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/119، والمستغانميّ، تصريف القول، ص: 49.

(7) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/573، وقباوة، المفصّل، ص: 604.

(8) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/12، وقباوة، المفصّل، ص: 604.

سينالُهُم غضبٌ في الآخرةِ وذِلَّةٌ في الحياةِ الدّنيا، فعذابُ الآخرةِ مُقدَّرٌ في الكلامِ، دلَّ عليه ذكرُ الدّنيا، على ما عَلِمَ مِن اطّرادِهِ بنصوصٍ أخرى[1].

سِرُّ النّعْتِ المَحذوفِ، والتّنوينِ في لفْظِ ﴿غَضَبٌ﴾:

تأكيدُ الغضبِ بيقينِ كونِهِ وَاقِعًا في الآخِرةِ

قولُهُ: ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾؛ أي: مَالِكِهِم، مُتَعَلِّقٌ بمَحذوفٍ تقديرُهُ (كائنٌ) هو نعتٌ لغَضبٍ مُؤكِّدٌ لِمَا أفادَهُ التّنوينُ مِنَ الفَخامَةِ الذّاتيَّةِ بالفَخامَةِ الإضافيَّةِ؛ أي: كائنٌ مِن ربِّهِم[2]، فعذابُ الآخرةِ مُقدَّرٌ في الكلامِ دلَّ عليه - فضلًا عنِ المَحذوفِ - ذكرُ الدّنيا، على ما عُلِمَ مِن اطّرادِهِ بنصوصٍ أخرى[3].

بَلاغةُ الاسْتِعارةِ في: ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾:

النَّيلُ إصابةٌ وتلبُّسٌ، لا مفرَّ منه، ولا مَناصَ عنه

قوله تعالى: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ "النَّولُ وَالنَّيلُ: الأَخذُ وهُوَ هُنا استِعارَةٌ للإِصَابَةِ والتَّلَبُّسِ، كما في قَولِهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: 37] في هذِهِ السُّورَةِ"[4].

نُكتَةُ تَنكِيرِ (الغَضبِ) و(الذِّلَّةِ):

إعمامُ المعنَى، وتعدُّدُ احتِمالاتِ دَلالةِ الغضبِ والذِّلَّةِ

في قوله تعالى: ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ المُرَادُ بالغَضَبِ ظُهُورُ أَثَرِهِ مِنَ الخِذلَانِ ومَنعِ العِنَايَةِ، وأَمَّا نَفسُ الغَضَبِ؛ فهو حَاصِلٌ في الحَالِ. وَغَضَبُ اللهِ تعالى إِرَادَتُهُ السُّوءَ بِعَبدِهِ وعِقَابُهُ في الدُّنيَا والآخِرَةِ أَو في إِحدَاهُمَا[5]، أو هو ما أمرَهُم بِهِ من قتلِ أنفسِهِم. والذِّلَّةُ في الحياةِ الدّنيا هي خروجُهُم من ديارِهِم؛ لأنّ ذلَّ الغُربةِ مَثَلٌ مَضروبٌ، لِيعيشوا ذِلَّةَ الاغترَابِ والمَسكنةِ؛ إذ حَرَمَهُمُ اللهُ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/395، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/183.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/275.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/395، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/183.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/119.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/119.

مُلكَ الأَرضِ المُقَدَّسَةِ، فَكانُوا بِلا وَطَنٍ طَوالَ حَياتِهِم حتَّى انقَرَضَ ذَلِكَ الجِيلُ كُلُّهُ، وقِيل: الجزية، أو ما يَشعرُونَ بِهِ مِن هَوانِهِم على النّاسِ وظنِّهِم عندَ لقاءِ كلِّ أحدٍ أنّهُ يَتذكَّرُ برؤيتِهِم ما كانَ مِنهُم، فيحتقرهم، أو يَكُون بِتَسليطِ العَدُوِّ عَلَيهِم، أو بِسَلبِ الشّجَاعَةِ مِن نُفُوسِهِم، بِحَيثُ يَكُونُونَ خَائِفِينَ العَدُوَّ، ولَو لَم يُسَلَّطْ عَلَيهِم، أو أنَّ هذه الذِّلّةَ خاصّةٌ بالسّامريِّ، وهي ما حَكَمَ به مُوسى عليهِ مِنَ الانفرادِ عنِ النّاسِ، مِنَ القَطيعةِ عنهُم واجتنابِهِم بقولِ مُوسى ﷺ له: ﴿فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ [طه: 97]، أي: لا أَمسُّ أحدًا، ولا يمسُّني أحدٌ[1].

سِرُّ التّقديمِ والتّأخيرِ:

في قوله تعالى: ﴿سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ مَواضِعُ للتّقديمِ والتّأخيرِ؛ أوّلُها: تأخيرُ الفاعلِ (الغضب) على مفعولِهِ (هم) في قولِهِ: ﴿سَيَنَالُهُمۡ﴾؛ وذلك لأنّهم مناطُ العنايةِ بوصفِهِم المُعذَّبينَ، والعَربُ إنّما يُقدِّمون الذي بيانُه أهمُّ لهم، وهم ببيانه أَعْنى، وإن كانا جميعًا يُهمَّانهم، ويعنيانهم، كما يقولُ سيبويه[2].

في التّقديمِ مَوطِنُ عِنايةٍ بما قُدّمَ في السّياقِ

نُكتةُ قَصْرِ (الغضبِ) على الله دونَ (الذِّلّةَ):

ثمّ قدَّمَ الغضبَ على الذِّلّةِ لكونِهِ غضبًا عظيمًا لا يُقادَرُ قَدرُهُ، مُستَتبِعٌ لِفُنُونِ العُقُوباتِ، لِما أنَّ جَريمتَهُم أعظَمُ الجَرائمِ وأقبَحُ الجَرائرِ[3]، ولأنَّ المُرادَ أنّهُم سَينالُهُم غَضبٌ في الآخرةِ، وذِلّةٌ في الحياةِ الدّنيا؛ قَصَرَ تعالى الغضبَ عليهِ بقولِهِ: ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ﴾، ولم يقيّدِ الذِّلّةَ بهذا القيدِ؛ لِكونِ الشّأنِ في الآخرةِ مُقتَصِرًا عليهِ، لا يشاركُهُ

تقديمُ الغضبِ على الذِّلّةِ، لِعِظَمِهِ وحُصولِهِ في الآخِرةِ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/36، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/182 - 183، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/119.

(2) سيبويه، الكتاب: 1/34.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/275.

فيهِ أحدٌ إلّا مَن يأذن تعالى له، أمَّا في الدّنيا؛ فإنّ الإذلالَ قد يكونُ مِنَ اللّهِ، وقد يَصدرُ مِنَ البشرِ، وإن كان بعلمِ اللّهِ، ودرايتِهِ، وإرادتِهِ.

سِرُّ الجمْعِ بينَ لفْظَيِ: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ و﴿ٱلدُّنْيَا﴾:

تـصـويـرُ مصيرِ مُتّخذِي العِجْلِ في هـذه الـدّنيا الغَرُورِ

فرَّقَ القرآنُ الكريمُ بينَ كلمةِ ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ عندما ترِدُ وحدَها، وبينَ كلمةِ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، فـ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ عندما تَرِدُ وحدَها تقابِلُ في السّياقِ القرآنيِّ كلمةَ ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾، وتَرِدُ مِنَ الحديثِ عنِ الدّنيا فقط، ولا يَتعرَضُ لعملِ الإنسانِ وصفاتِهِ وآثارِهِ ونتائجِهِ، وهذا يدُلُّ على أنّ ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ بهذا الاستعمالِ هي عَلَمٌ على هذه الحياةِ الّتي نحياها قبلَ المَوتِ. أمّا تعبيرُ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيَرِدُ عندما يريدُ اللّهُ ﷻ أن يصوِّرَ استغراقَ الإنسانِ في هذهِ الحياةِ، وعدمَ اهتمامِهِ بما بعدَها، واغترارَهُ بأهوائِها وشهواتِها؛ ظنًّا منهُ بأنَّها هي الحياةُ المُطلَقةُ، ولا حياةَ حقّةً فُضلَى بعدَها، ويدُلُّ على ذلك وصفُها بكونِها مَتاعَ الغرورِ، وأنَّ الّذي يغترُّ بها هالكٌ[1]، ولا فعلَ أشنعُ مِن اتّخاذِ إلهٍ غيرِ اللّهِ مَعبُودًا يُصوِّرُ استغراقَ القومِ في هذهِ الحياةِ، واغترارَهُم بمَلَذاتِها.

نُكتةُ التَّعْبير بفعْلِ الافْتِراءِ:

الافـتـراءُ افتعالٌ لِـمَـا لا يَـصِـحُّ أن يكونَ

الافتراءُ هو اختلاقُ ما لا حقيقةَ لهُ[2]، وافتعالُ واختلاقُ ما لا يَصِحُّ أن يكون[3]. بذا فالافتراءُ يُناسبُ سياقَ الآيةِ؛ لأنَّ المُرَادَ بِالافتِرَاءِ الاختِلَاقُ في أُصُولِ الدِّين بِوَضعِ عَقَائِدَ لَا تَستَنِدُ إلى دَلِيلٍ صَحِيحٍ مِن دَلَالَةِ العَقلِ أَو مِن دَلَالَةِ الوَحيِ، فإنَّ مُوسَى عليه السلام كَانَ حَذَّرَهُم مِن عِبادَةِ الأَصنَامِ – في الآيَاتِ الثَّلَاثِ المُتَقَدِّمَةِ آنِفًا [الأعراف: 138 - 140] – فَجَعَلَ اللّهُ جَزَاءَهُم على الافتِرَاءِ الغَضَبَ والذِّلَّةَ[4].

(1) أبو عودة، التّطور الدّلالّي بين لغة الشّعر الجاهلّي ولغة القرآن، ص: 349 - 350.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 47.
(3) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 154 - 710.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/120.

بَلاغةُ الاعتراضِ والتّذييلِ في الآيةِ:

في الاعـتراضِ إخبارٌ عن كيفيّةِ مُجازاةِ المُفتَرِي

فالجُملَةُ خِطَابٌ مِن جَانِبِ اللّهِ في القرآنِ، فهي اعتِرَاضٌ، والوَاوُ اعتِرَاضِيَّةٌ ذَيَّلَ اللّهُ بهذا الاعتِرَاضِ حِكايَةَ كَلامِ مُوسَى، فَأَخبَرَ بأَنَّهُ يُجَازِي كُلَّ مُفتَرٍ بِمِثلِ ما أَخبَرَ بِهِ مُوسَى عَن مُفتَرِي قَومِهِ[1].

سِرُّ تأخيرِ المُشَارِ إِلَيهِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

التّـأخـيرُ اسـتِـعـمـالٌ بَلِيغٌ فِي مَقامِ التَّشوِيقِ

والقَولُ في اسمِ الإشارَةِ: إنَّ المُشارَ إِلَيهِ مأخُوذٌ مِن كَلامٍ مُتَأَخِّرٍ عَنِ اسمِ الإشارَةِ، وتأخِيرُ المُشَارِ إِلَيهِ عَنِ الإشارَةِ استِعمالٌ بَلِيغٌ في مَقامِ التَّشوِيقِ، أو مِن كَلامٍ مُتَقَدِّمٍ عَنِ اسمِ الإشارَةِ؛ أَي: وَمِثلَ ذَلِكَ الجَزَاءِ العَظِيمِ نَجزِي المُفتَرِينَ[2].

دَلالةُ التَّعْبيرِ باسمِ الفاعلِ ﴿ٱلْمُفْتَرِينَ﴾:

تَـكـرارُ الـجـزاءِ، وشُـمـولُ عُـمومِ المُفتَرِينَ

فالمعنى: أَنَّ كلَّ مُفتَرٍ في دينِ اللّهِ فَجَزاؤُهُ غَضَبُ اللّهِ والذِّلَّةُ في الدّنيا[3]، فـ﴿ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ عامٌّ في كلِّ مُفتَرٍ[4] إلى يوم الدِّين، فهو جَزاءٌ مُتكرِّرٌ كلّما تكرّرَت جريمةُ الافتراءِ على اللّهِ، ويُرسِّخُ هذا المعنى صيغةُ المُضارعِ ﴿نَجْزِى﴾ الدّالِّ على التَّجدُّدِ والاستمرارِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/119.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/117 - 120.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/13.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/396.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»